

كيف يؤثر إدراك عظمة الآخرة على أفعالنا الدنيوية؟

إدراك عظمة الآخرة وأثرها في تشكيل سلوكنا الدنيوي

عندما لا ندرك عظمة الآخرة وحقيقتها، ونظن أنها شبيهة بهذه الدنيا الفانية، فإننا لن نفهم الحاجة الملحة لتجهيز أنفسنا لحياة أبدية. هل الأعمال الصالحة التي نقوم بها في الدنيا كافية لتلبية احتياجاتنا في الآخرة؟ أم أننا بحاجة إلى المزيد؟ إذا كانت إجابتنا سلبية، فكيف نكتسب الزاد الذي نحتاجه؟ في الواقع، لحياة سعيدة في الآخرة، يجب علينا أن نفهم عظمة الآخرة وأن نتعلم كيفية تجهيز أنفسنا للحياة الأبدية.

سبق أن أشرنا إلى تشابه العلاقة بين الدنيا والآخرة وعلاقة الجنين في رحم أمه في مقال "قانون النسبة؛ طريقة لفهم خصائص الحياة الأخرية". عند التمعن في هذا التشبيه، ندرك بوضوح الفرق الهائل بين ضيق الرحم واتساع الدنيا، وبين قصر المدة التي يقضيها الجنين في الرحم وطول الأمد الذي يعيشه في الدنيا. فكيف إذن نتصور عظمة الآخرة التي تفوق الدنيا كما تفوق الدنيا رحم الأم؟ هناك فجوة شاسعة بين علاقة الدنيا بالآخرة، فلو أدركنا عظمة الآخرة وبقائها الأبدية، لما تعاملنا معها بمثل هذا اللامبالاة. لوجدنا أعمالنا تافهةً أمام هذا الكون الواسع، ولأدركنا حاجتنا الماسة إلى الزاد الذي نحتاجه في حياتنا الأبدية. سنجد أن الهروب من مصاعب الدنيا يعني الفقر في الآخرة، ولذا سننظر إلى هذه المصاعب على أنها فرص لكسب الزاد والأجر، لا أسباباً للشكوى والتذمر.

دور المشاكل والتحديات في الدنيا

عادةً ما نجد أن تحمل الصعاب والمشقات يصبح أسهل عندما يكون لدينا هدف كبير نسعى لتحقيقه. على سبيل المثال، عندما يهدف شخص ما للفوز بذهبية أولمبية، فإنه يتحمل بسهولة صعوبات

التدريب المكثف، والابتعاد عن عائلته، والإصابات، وذلك بدافع تحقيق حلمه. وبالمثل، فإن إدراك عظمة الآخرة يمنحنا القدرة على تحمل صعاب الحياة الدنيا ومشكلاتها. فحين نتأمل في روعة الحياة الآخرة وأبديتها وعظمتها، تتضاءل قيمة مصاعب الدنيا في أعيننا.

لكل نقص في الدنيا، كمال في الآخرة؛ فكل ما نفتقده هنا، نجده مضاعفًا شهناء. سواء فقدنا مالاً أو صحة أو مكانة، فإن هذا النقص يُعتبر كنزًا نُحفظ لنا في الآخرة. والعكس صحيح، فكل نعمةٍ دنيوية لم نستغلها في سبيل الله وتنمية جانبنا الإنساني، ستتحول إلى نقمة علينا يوم القيامة. فالثروة والسلطة والمكانة إذا لم تستعمل في الخير، فإنها لن تجلب لنا إلا الندم والحسرة والعذاب في الآخرة.

عظمة الآخرة وصغر الدنيا

ألم تشاهد يوماً جبلاً شامخاً أو بناءً شاهقاً من أسفله؟ هل لاحظت كيف أن هذا المنظر المهيب يجعل كل ما حوله يبدو صغيراً ودون أهمية؟ الأمر نفسه ينطبق على إدراكنا للحياة الآخرة. فعندما ندرك عظمة الآخرة وحجمها اللامتناهي، تصبح الدنيا في نظرنا صغيرةً متناهية الصغر. هذا الإدراك العميق يجعلنا لا نهتم بالأمور الجمادية والنباتية والحيوانية والعقلية في وجودنا، كأن لن نتأسف على عدم إنجاب الأطفال، أو لون بشرتنا، أو الدرجات العلمية، أو الممتلكات الدنيوية. بل نرضى بقضاء الله وقدره، ونعمل جاهدين لجمع الحسنات التي تنفعنا في الآخرة.

إن هذه الدنيا ساحة صراع وتناقضات، و لن تسير الأمور فيها كما نشتهي ولن تتحقق فيها الآمال دائماً. لكن هذا لا يعني اليأس والاستسلام، بل يدعونا إلى الاجتهاد والعمل وأداء الوظيفة بدلا من الوصول السريع إلى النتيجة. فالمؤمن يعرف أن ابتلاءات الدنيا هي كنز دفين نجمعه للآخرة، فكل محنة هي فرصة لتزكية النفس وتقريبنا من الله. لنستغل هذه الأوقات الغالية في تهيئة أنفسنا لحياة أبدية سعيدة.

شراكة في أعمال الآخرين

إذا ما تعمقنا في فهم قوانين الكون وقضائه، لوجدنا أن تجميع الحسنات وتحصيل الأجر يصبح أمراً أيسر. فبمجرد أن ندرك أن الرضا عن عمل شخص ما يجعلنا شركاء فيه، تتغير نظرتنا إلى أفعال الآخرين. عندما نستمتع بنجاحاتهم ونفرح لأعمالهم الصالحة، فإننا في الحقيقة نشترك معهم في ثوابها، وبالتالي نزيد من حصيلتنا في الآخرة. وهكذا يزول الحسد من قلوبنا، وتحل محله المحبة والتآخي.

إذا كان بوسعنا بسهولة أن نفرح لنجاح من هم أفضل منا وأقدر، ولنشترك في ثواب أعمالهم، فلماذا لا نسعى جاهدين لتكوين ثروة في الآخرة؟ لماذا نفوت هذه الفرصة النادرة ونغرق أنفسنا في وحل الحسد؟ حسدٌ لا يزيدنا إلا خسارة، بل قد يحرق ما جمعناه من أعمال صالحة.

لقد قمنا في هذا المقال بمقارنة رحم الأم بالدينيا، والدنيا بالآخرة. وتوصلنا إلى أن إدراك عظمة الآخرة يزيد من وعينا بأهمية جمع الزاد والأجر. وقد تبين لنا أن طرق كسب ممتلكات حقيقية في الدنيا ليست مقتصرة على الأعمال الصالحة فحسب، بل إن الصبر على البلاء والابتلاء يعدّ كنزاً من كنوز الآخرة. إن إدراك عظمة الآخرة يجعلنا نتجاوز نقص الدنيا، ونعتبر كل نقص فيها كاستثمار في الآخرة. وفي الختام، أكدنا أن الرضا بكل عمل يجعلنا شركاء فيه، وننال أجراً مضاعفاً في الآخرة.

كيف تتعاملون أنتم مع مشاكل الحياة؟ نودّ أن نسمع آرائكم.